إيحائية عناصر الحوار (في القصة القرآنية)

الأستاذ الأول المتمرس الدكتور
محمد حسين علي الصغير
الباحثة
جنان تكليف علي النصراوي
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

المقدمة

إنَّ القصص القرآني يمثل جانباً اهتمت به الدراسات وأولته عناية فائقة، كونه منبعث من عمق الواقع الإنساني ، ويمثّل نصاً يعجُّ بالطاقات الدلالية ، وكان للحوار والشخصيات في القصة القرآنية حضورٌ قوي ، إذ شكلا تربة خصبة لبث المعاني والدلالات بطريقة فنية إيحائية تُدرك الغاية عن طريقها ، فتسهم في كشف الجوانب الدلالية للقصة القرآنية ، وتعمل على إثارة الفاعلية التواصلية بين النص القرآني والمتلقي فيتوافر بذلك العنصر التبليغي ، وعندئذٍ يكون الخطاب القرآني ـ المتمثل بالقصة القرآنية ـ قد حقق أحد جوانبه التواصلية في أن يؤثر تأثيراً كبيراً في متلقيه. وشكلت الدلالة الإيحائية واقعاً ملموساً في حوارات القصة القرآنية وشخصياتها ، وأضفت عليها ملامح العمق الدلالي مستهدفةً ذات المتلقي ، قاصدة التأثير في آرائه وسلوكياته ، وتوجيهه الوجهة الصحيحة باستمالة عقله ونفسه نحو الصراط القويم باستعمال الإقناع .

وجاء هذا البحث تحت عنوان (إيحائية عناصر الحوار)، ليبيِّن ما يمكن أن توحي به شخصيات القصة القرآنية من إشعاعات دلالية عن طريق حوارها ، فضلاً عمَّا يمكن أن يوحي به الحوار من سمات الشخصيات المتحاورة .

وانتظم البحث بخطة مرتكزة على منهج تحليلي وصفي ، اعتمدت فيه جانب اختيار الأمثلة والتحليل لا الجمع والاستقراء .

توطئة

يشكل الحوار عنصراً رئيسياً في المكون التعبيري القصصي ، فهو يُسهِم إسهاماً مباشراً في بلورة الأحداث ، و كشفها ، فضلاً عن دوره الفاعل في رسم الشخصيات و الكشف عن طبيعتها و بواطنها ، و يُعدّ وسيلة من وسائل إنتاج المعنى ، و فك الألغاز القصدية في القصة ، موحياً للمتلقي بالحقائق الموضوعية ، و الطروحات الفكرية ، و القيم الجمالية الإبداعية التي يتوافر عليها النص .

و إنْ تفحصنا بعض القصص نجد أنّ الحوار يأتي فيها – أحياناً – ليخفف من رتابة السرد ، على أنّ ذلك لا ينطبق كلياً على السرد القرآني ، إذ يلفت نظر المتلقي أنّ السرد القرآني يُثرى به المعنى ، و تُبين به الحال ، و يُعدّ شكلاً من أشكال التقرير، و الانطلاق لتأسيس أفق فكري لتثبيت المعنى المراد في الذهن ، و مثل ذلك ما جاء في قصة النبي يونس (عليه السلام) ، قال تعالى:﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ * فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1]

سَرَدَ النص القرآني القصة و جاءت خالية من الحوار ، و مع هذا فإن الرتابة و الملل لم يتسللا لأي مفصل من مفاصل القصة ، فجاءت ألفاظها منسابة انسياباً رائعاً، فالإيحاءات التي تبعثها الكلمات القرآنية في مجرى الأحداث التي سُرِدت تشكل القوة المحركة لتلك الأحداث و الحياة المتدفقة في كيانها(٢) ، فنلحظ الفيض الروحي ، واللطف الإلهي الذي زخرت به القصة و أوحى به تصويرها ، حتى صار ذلك أحد آليات إدراك المعنى الإيحائي ، و هو إحاطة العناية الإلهية بالإنسان ، و تقبل توبته إنْ كانت بنية خالصة ، و قلبٍ طاهر ، و نفسٍ نقية ، و هنا تتضح قيمة السرد في القصة القرآنية ، فالقصة تهدف إلى بيان الغاية من الحدث بأسلوب معجز، ولمحة سريعة دالة ، فلولا أنّ يونس (عليه السلام) كان من المسبحين ، الذاكرين لله تعالى ،للبِثَ في بطن الحوت إلى يوم يبعثون .

" و للحوار في القصص القرآني سمة خاصة لا نجد لها أثراً في القصص الأدبي على الإطلاق ، و هي تلك الذاتية التي يحتفظ بها هذا الحوار لشخصيات المتحاورين ، ذلك أننا في القصص القرآني لا نجد فرصةً أبداً ننفلت فيها من هذا الشعور الذي يستولي علينا من أننا إزاء شخصيات واقعية لها وجودها الذاتي ، و لها منطقها، و تفكيرها"(٣).

إلا أنه على الرغم من هذا لا نجد تقديساً ، أو تفخيماً للشخصيات في القصة القرآنية ، بل إنّ المتلقي يجد – في بعض الأحيان – أن القصة تخلو من أسماء شخصياتها ، و تجري الأحداث ، و يحصل الحوار بين المتحاورين دون ذكر أسمائهم، فيأتي التركيز على الحدث و استخلاص العبرة و العظة من وراءه، و "يهدف النص القرآني من تقديم الشخصيات على وفق هذا المنظور إلى توسيع رؤية المتلقي و تعميق آفاق وعيه"(٤) ، فالشخصية في القصص القرآني حين تُقَدّم لا يتم وصف هيئتها العامة ، و ما تنطوي عليه سريرتها – كما هو الحال في القصص الأدبي – إنّما يتم الكشف عن هيئتها ، و سريرتها ، و تفكيرها ، و كل ما ينضوي خلف الشخصية من صفات عن طريق الحوار مع الشخصيات الأخرى ، أو عن طريق السرد القرآني ، فضلاً عمّا تقوم به من أفعال ضمن إطار الحدث فتسهم بذلك في إثراء الدلالة القصصية .

فشخصية أولاد يعقوب - على سبيل المثال - في قصة يوسف (عليه السلام) التي مثّلها عشرة أخوة – من أخوة يوسف عليه السلام – مجتمعين ، لم يتم وصفهم ، لا من حيث الهيأة أو اللون أو الصفات ، إنما استطاع المتلقي أن يرسم صورة في ذهنه لهذه الشخصية بهيئتها ، و سماتها العامة ، عن طريق فاعلية الشخصية في الحدث العام للقصة ، و حوارات هذه الشخصيات سواء مع بعضها ، أم مع يعقوب النبي (عليه السلام)، أم مع يوسف عليه السلام بعد أن أصبح عزيزاً لمصر ، فأوحت تلك الشخصية (الجماعية) بطابع الحسد ، و الغيرة ، و الحقد ، قال تعالى :﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾(٥) ،

فضلاً عن الكذب الذي رافق الشخصية معظم أحداث القصة . قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾[٦] ، قال تعالى : ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[٧]،

أمّا ما يخصّ الهيئة العامة و قوة الشخصيات ، فما يمكن قوله في هذا الشأن : هو أنهم لم يكونوا أصحاب قوة مفرطة لان عملهم رعي الأغنام و هذا بدوره لا يحتاج إلى قوة جسمية و عضلية كبيرة و بالتالي فإن هيئة أجسامهم قد تكون عادية ، طبيعية، في حين أن قوم عاد كانوا ذي قوة عالية ، يتبيّن ذلك في قوله تعالى :﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٨] وتشبيه النص القرآني لهؤلاء القوم بأعجاز النخل يوحي بكبر حجمهم و عِظَم أجسامهم ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[٩]

يضاف إلى هذا أنّ الشخصيات في القصة القرآنية توحي بنماذج بشرية عامة ، فالخصائص التي تحملها الشخصيات القرآنية التي يمكن استشفافها عن طريق الحدث العام أو الحوار ، تنطبق على شخصيات عدة على أرض الواقع ، سواء أكانت تلك الشخصيات إيجابية أم سلبية .

وعليه فالشخصية في القصص القرآني ذات ثلاثة أبعاد :

١- **البعد الدلالي الإيحائي** : يعطي هذا البعد كشفاً عن المعنى ، و يُفصح عن البواعث ، والمعايير الفكرية للشخصية القصصية مما يزيد من بصيرة المتلقي ، وإدراكه العميق لإيحاء الشخصية بكل دقائقه و خطوطه .

٢- **البعد الواقعي** : و يتمثل بكون الشخصية القصصية القرآنية تحمل طابع الأنموذج العام الذي تنطبق خصائصه التركيبية و الوظيفية على شخصيات الواقع في مختلف الأزمنة و الأمكنة ، فضلاً عن كون الشخصية القرآنية لها بعدها التاريخي فهي مأخوذة من الواقع بعيداً عن الزخرفة أو الإيهام ، و بالتالي فإن

حوارها سيحمل طابع الصدق الموضوعي الذي سيهيمن على فهم المتلقي و يوجهه نحو ملامح العمل الصحيح .

٣- **البعد الفني** : ويدور حول ما تَجمعه القصة القرآنية من جمالية القصة في تشويق عناصرها و فنية إيحائها و بين واقعية أحداثها ، و شخصياتها ، و حواراتها ، و لو تدبرنا المسألة بكل دقة و إمعان لأسقطنا من حساباتنا أدبية القصة القرآنية ، فهي تشبه جنس القصة الأدبية – الوضعية – من حيث عناصرها الأساسية كالشخصية ، والحوار ، والحدث ، والزمان ، والمكان ، وإن كانت نسب وجود هذه العناصر في القصة القرآنية متفاوتة إلاّ أنَّها مع ذلك تبقى محتفظة بحبكتها ، وتماسكها ، فهي تُباين القصة الوضعية في أبعاد تكوينها ، وقيمتها ، وخصوصيتها ذات المغزى الكوني الشامل .

المحور الأول

أطراف الحوار

يشمل القصص القرآني نماذج حوارية متعددة ، تختلف مضامينها تبعاً لاختلاف لغة الخطاب أو الحوار ، و لا يشترط في أطراف الحوار أن تكون من جنس أو هيأة معينة ، فقد تكون بين الله و مخلوقاته كالملائكة، قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١٠)،أو بين الإنسان و الملائكة ، قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾(١١) ، أو بين الإنسان والحيوان ، قال تعالى :﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ *إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ *أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾(١٢) .

على ألا نغفل حقيقة أصيلة في النص القرآني بشكل عام ، ألا و هي أنّ منشئ الخطاب و القص القرآني هو الله تعالى – أوحاه إلى رسوله (ص) عن طريق جبريل الأمين – عليه السلام – و إنَّ ما جاء من حوار على لسان الشخصيات في القصة القرآنية هو حكاية عنهم ، و نقل المعنى بألفاظٍ إلهية.

ويمكن تقسيم الحوار في القصة القرآنية إلى حوار العقيدة ، و حوار الأخلاق ، و الحوار الفكري ، و حوار القوة المؤمنة ، و حوار الجاحدين(١٣) ، "ولاشك أن الحوار الذي يديره القرآن في دقة و حساسية لأحياء المشاهد ، أو لتصوير الانفعالات أو الإقناع و التأثير ، يقتضي تنوع أساليبه ، و طرقه باختلاف الأشخاص ، و بحسب المواقف حتى يكون أبعد اثراً في نفوس سامعيه و هدايتهم و توجيههم"(١٤) و من أساليب الحوار المتنوعة : التقرير ، و التلقين ، و المحاجّة ، و التذكير بالنعم ، و التخويف بالعذاب ، و ما يأتي على لسان الخصوم – الطرف الثاني من الحوار – لا يعدو أن يكون محاولات تبرير ، أو ازدراء و استخفاف ، أو تهديدٍ و وعيد(١٥) .

المحور الثاني

الحوار و تقديم الشخصيات

إنَّ مكونات لغة الحوار بألفاظها المفردة ، و تراكيبها تنتج مستويات تعبيرية – حوارية – تحرك البواعث العقلية ، و الوجدانية لدى المتلقي ، و تُغيِّر، و تضيف فهي تُستثمر عملياً لتوحي بصفات الشخصيات المتحاورة ، و تفكيرها ، و منطقها ، فضلاً عن نزوعها نحو الخير أو الشر ، والمطَّلع على القصة القرآنية يستطيع أن يتعرف و يحكم على شخصياتها عن طريق أحداثها ، و المستويات الحوارية المحركة للأحداث ، و بهذا المعنى فإن لغة الحوار القصصي القرآني تبلور أنماط الشخصيات القصصية ، و تبث معطياتها ، فيكون ذلك باعث على الإثارة و التفاعل و أجدى في التأثير في التلقي ، لأن الشحنات الإيحائية التي تبثها لغة الحوار عبر الشخصيات ، و العناصر الأخرى ، كالحدث – مثلاً – أعمق تأثيراً ، كونها فهماً لماهية النص و مكوناته بما يحمل من أفكار و مضامين تشير إلى أهمية المعاني المستقرة في النزعات التوظيفية لأساليب الحوار ، فالقرآن الكريم استعمل أكثر من أسلوب حواري رسالي من

أجل الوصول إلى عقل الانسان و شعوره و إقناعه بالفكرة الحق التي ترتبط بالله(١٦) .

و بالنظر الفاحص لبعض النماذج الحوارية في القصص القرآني يستشرف المتلقي الالتفاتات الاشارية، الإبلاغية الموحية في لغة الحوار بين العناصر الحوارية ، و يستطيع في ضوء الوقوف على أسلوب الحوار ، تحديد أهمية الشخصية المتحاورة ، و فاعليتها ، و تكوينها ، و ماهيتها ، فضلاً عن فنية الإيحاء الصادر عنها الذي يؤثر سلباً أو إيجاباً في المتلقي .

فالحوار في القصص القرآني يكشف عن الأبعاد التكوينية للشخصيات القصصية ضمن إطار الحدث ، فالشخصية في القصة القرآنية و إنْ مثلت عنصراً مهماً و رئيسياً في سير الأحداث ، و إضفاء الواقعية عليها عن طريق الحوار ، إلا أنها لم تبرز لذاتها و من أجل ذاتها ، و إنما كانت تمثل نماذج بشرية تعبر عن الإنسان بكله على مر العصور و الأزمنة ، و هذا ما يوحي بعالمية القرآن و كونيته .

و يمكن التعرف على ما اتسمت به بعض الشخصيات القصصية في ظل التصوير الحواري القرآني ، و الكشف عن الأبعاد المهمة في شخصيات المتحاورين بكل دقة و أمانة عن طريق الاطلاع على بعض النماذج الحوارية لشخصياتٍ قصصية قرآنية منها:

أ- النبي إبراهيم (عليه السلام) و حواراته :

رَسَمَ الحوار القرآني النبي إبراهيم (عليه السلام) و بثّ الشحنات الإيحائية المُشعِرة بهيمنة العقل و الفطنة و الذكاء ، فضلاً عن الأدب و الحياء ، و إحلال الموضوعية و الفكر البناء محل العصبية التقليدية . و إذابة الحدود الفاصلة بين الواقع و التوهم .

قال تعالى :﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا * إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا * قَالَ سَلَٰمٌ

عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا *وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾(١٧)

إنَّ الملحوظ في المحاورة القرآنية السابقة أنها احتفظت بالجانب التوددي الرقيق، و الملاطفة في الحديث – من قبل إبراهيم ﷺ مع أبيه – و هذا يوحي بجانبين : الأول : الأدب الجمّ ، و الحياء المفرط الذي انطوت عليه سريرة إبراهيم ﷺ فبرز هذا الجانب من الشخصية و طغى في هذه المحاورة ،

يقول الزمخشري : "أُنظر حين أراد أن ينصح أباه و يعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم و الارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقل و انسلخ فيه عن قضية التمييز ، كيف رتب الكلام معه في أحسن أتساق ، و ساقه أرشق مساق، مع استعمال اللطف ، و الرفق ، و اللين ، و الأدب الجميل ، و الخُلُق الحسن"(١٨)

إذ يصوّر النداء المتكرر (يا أبت) في حديث إبراهيم ، معانٍ واسعة ، و رؤية عميقة ، و أبعادٍ وجدانية تنبض إفهاماً للمتلقي ، و تستلهمه في تأويل معنى استثنائي يوحي بعاطفة تظهر فيها القدرة على التجاوز ـ المقصود بها قدرة إبراهيم ﷺ على تجاوز الأسلوب الفظّ الذي تكلّم به أبوه ـ حرصاً منه على تحقيق غايته ﷺ في الهداية ، و دليل ذلك قوله تعالى :﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾(١٩)

مع إمكانية الانتصار و حصول النفع المباشر ، و التوصل إلى مغزى هذا النمط الكلامي ، و كل هذه العاطفة ، و الأداءات التعبيرية التي يدركها المتلقي و ما يترتب عليها من تأثيرات تنسجم و معطيات محاولة تثبيت ملامح صورتين مختلفتين في ذهن المتلقي ، تتمثل الأولى بصورة النعيم الناتج عن إتباع الحق، و الصراط السوي المستقيم ، أمّا الصورة الثانية : فهي صورة العذاب الناتج عن إتباع هوى الشيطان .

وهما تمثلان الباعث على الحوار الذي يستدعي التأمل في الكلام و إيحاءاته ، و هدم الجدار العصبي ، و الانفتاح على آفاق المعرفة الحقّة ، و الانصياع للأوامر الإلهية ، لهذا نجد أنه ﷺ تدرّج في أسلوب الدعوة ، فعمل في بدء حديثه إلى محاججة أبيه بالاستفهام(٢٠) إذ يلعب هذا الأسلوب دوراً كبيراً في العملية الحوارية –الحجاجية– ذلك لأنه يصبح نمطاً يتسرب إلى اللاوعي عند المتلقي – الطرف الثاني

من الحوار – فيشترك بفعل قوة التساؤل في عملية الاستدلال المقصودة ، و النظر بمنظار موضوعي إلى المعنى المتمخض عن المحاورة .

و لذا نجد أنّ إبراهيم (عليه السلام) عمَدَ إلى الاستفهام في محاورة أخرى كانت له مع أبيه و قومه ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾(٢١)

فالاستفهام "يثير في النفس التفكير و يدفعها إلى تدبر الأمور حتى تقتنع بتفكيرها الخاص ، بأنّه ما كان ينبغي أن يقع ما وقع أو كان الصواب أنْ يقع ما لم يقع"(٢٢) ، و هنا يجد المتلقي أنّ هذا الأسلوب وُظّف توظيفاً موحياً مستشرفاً الجوهر الذي يدور حوله الحوار .

أما الجانب الثاني الذي أوحى به حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه ، هو حرصه الشديد على استمالة قلب أبيه تجاه دعوة التوحيد ، و نبذ الشرك ، و الإيمان بالله تعالى ، إذ " رأى إبراهيم أنّ من أولى مهماته في الدعوة إلى الله أن يبدأ بدعوة أبيه لأن بقاء أبيه على الكفر يخلق نقطة ضعف في موقفه و قد يسبب له مصاعب داخلية تعطل خطواته، أو تجلب له مشاكل غير منتظرة"(٢٣) ، فاتجه في حواره إلى إبراز فكرة ، و قضيةٍ آمن بها و أراد توضيحها ، و تثبيتها ، و عليه فلابد أن يقوم بتجسيد المستويات الحوارية في قوالب إيحائية تتناسب و خصوصية المعنى المنتج ، والمراد تثبيته ، فكانت مكونات لغة التعبير الحواري تسير بخطوات لطيفة دائبة ، لتشكل نمطاً استيعابياً فاعلاً يُستثمر في إنتاج وجهٍ استدلالي إقناعي يُحرك العقل و المشاعر و يتوغل فيها ، و يضيف إليها أبعاد إعادة النظر، و تدبر الأمور وصولاً إلى الغاية التي قام عليها الحوار ، و هي تحقيق الاقتناع بالدعوة إلى الله و توحيده ، ذلك بالاعتماد على الحجج و البراهين القائمة ، و الأدلة الملزمة ، فضلاً عن شحن أسلوب الحوار بالعاطفة بحيث يشعر مَن يقرأه أنّ في الموقف ما يعبر عن حالة توسل إبراهيم عليه السلام لأبيه ، محاولاً إنقاذه من الهلاك ، فيتحدث معه بكل محبّة لإنقاذه(٢٤) .

و وفق هذا الملحظ يتأسس لدى المتلقي مستوى إدراكي يتمثل بطبيعة الهوية التعريفية لشخصية إبراهيم عليه السلام فحواره مع أبيه و قومه بكل معطياته و مكوناته مثّل

هيمنة للتوظيف الفكري الموضوعي ، و الاستدلال العقلي ، فضلاً عن توجيه المتلقي إلى إدراك الأفكار التي يريد بثها و تثبيتها عن طريق المقارنة و الموازنة بين ما لا ينفع و لا يضر و بين خالق السماوات و الأرض ، فالق الحب و النوى – و شتان بين الاثنين – فيبدو التمييز واضحاً في إشارة انتباهية لافتة ، و كل هذا يوحي بشخصيةٍ فطنة ذكية ، لها قدرة استثنائية في إدارة دفة الحوار بأبعاد تشكله ، و مستويات عناصره بما يخدم قضيتها ، فضلاً عن المنطقية العقلانية التي تدير بها هذه الشخصية الحوار ، فهي تعتمد القياس المنطقي ، و ترمي إلى تحقيق الهدف من الحوار بالتأثير في المتلقي الذي يقضي تغيّر السلوك و المعتقد .

و ليس هذا و حسب ما يوحي بشخصية إبراهيم عليه السلام ذات الرأي الحصيف و العقل الراجح ، و المنطق المستدل ، و إنّما تأمله في الملكوت الإلهي ، و حواره الذاتي يقود إلى ظهور كمّ هائل من المعطيات الإيحائية التي تشفّ عن معنى جوهري يستدعيه تدبر المتلقي للوصول إلى ما هو واقعي و حقيقي ، قال تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ *إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(٢٥)

يوحي هذا الحوار الداخلي للنبي إبراهيم (عليه السلام) "عن طبيعة التأمل لديه و تدرجه في عملية الاستدلال من الأصغر إلى الأكبر ، من الكواكب إلى الشمس ، مما يجعل المتلقي يشعر أنه يستبطن عقل الشخصية الإيجابية إبراهيم – عليه السلام – بحيث يتصور أنه يرافقه في رحلته هذه و في تأمله ذاك حتى وصوله عليه السلام إلى النتيجة النهائية في وعي تام و مكتمل"(٢٦)

و يمكن القول في هذا الاتجاه أنه – عليه السلام – و انطلاقاً من المعرفة الحقة لخالق الأكوان التي قادته إليها فطرته السليمة ، و في محاولة منه للخروج عن المألوف في الإفصاح عن مهمات الأمور و معطياتها ، عمدَ إلى الإيحاء إلى قومه بضآلة ما يعبدون و حقارته ، عن طريق بثّه لحقائق علمية منطقية بشكل غير تقليدي ، إذ

وظّف الحواس فضلاً عن إعمال العقل في إيصال ما يريد إلى المتلقي ، فالكواكب ، و القمر البازغ ، و الشمس على كِبَرها لا يمكن أن تُعبد ، فتكون آلهة حاضرة على الدوام مع عبيدها ، فتدبر أمور الخلق وشؤونهم ، لأنها تأفل وتغيب ، والإله لا ينبغي له أن يغيب، فكيف لها بعد ذلك أن تُعبد و أن تدبر الشؤون ؟!

و بهذا المعنى ، يتكون فضاءٌ رحبٌ للتأملات الموحية بالوجود الإلهي الرباني ـ بحسب حركية الوجود الكوني و ظواهره – وهنا – مثّل المعنى قوّة ، و طاقة عملت على توجيه البواعث ، و الأهواء ، و الأغراض الفاعلة في الذات الإنسانية بأشكالها المتعددة ، و مسمياتها المختلفة ، و أبعادها و تأثيرها ، ليتحرر العقل البشري من سجن التقليد الأعمى ، و عبودية إتباع السابقين ، مما شكل إضافة نوعية و كمية في نقل حقائق منطقية ، إلى عقول متلقية ، في محاولة منه لقراءة الواقع بشكل جديد و إشاعة معانيه بصورةٍ مباشرةٍ حرصاً منه – عليه السلام – على استمالة العقول و النفوس تحريكها بفاعلية بصيرة العقل الإنساني بالشكل الذي يقتضي تحقيق الهدف الجوهري الساعي إليه.

و نستوحي مما سبق أنّ شخصية إبراهيم عليه السلام الباحثة عن الحقّ قلّبت المستويات الفكرية الأيديولوجية في حوارها ، لتكون مركزاً مشعاً في الكشف عن المعنى الموحى به ، و بالتالي إدراك الخلاصة الخصبة من الحوارات الفكرية القائمة .

ب ـ شخصية ابني آدم :

قال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ * لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾(٢٧)

جاء القرآن الكريم و هدفه الأعظم الدعوة إلى توحيد الله تعالى ، و إصلاح البشر ، و الدعوة إلى العمل الصالح ، و ترك الفواحش و المنكرات ما ظهر منها و ما بطن ، و قد استعمل الخطاب القرآني أساليب متعددة لإقناع المتلقين ، وحملهم على

الإذعان للحق و إتباع سبيله ، و من استراتيجيات العملية التواصلية ، كانت القصة بكل تدفقاتها السردية و الحوارية ، وسيلة من وسائل طرح الأفكار الموضوعية و التشريعية ، و التأثير في النفوس و استمالة العقول ، و الملحوظ في قصة ابني آدم (عليه السلام) ، أنها من القصص القرآنية التي لم تتكرر ، ويتضح فيها ظهور أهمّ عناصر القصة ، كالشخصيات الرئيسية ، و الثانوية ، فضلاً عن الحدث ، و الحوار الذي هو "الروح الذي يسري في كيان العمل القصصي و يبعث فيه الحياة و يجعل بينه و بين الناس تجاذباً و تجاوباً "(٢٨)

و برز عنصر السرد بالمزاوجة مع الحوار ، و في ضوء ذلك تكشفت الفكرة الأساسية التي مثلت بؤرة الحدث و الصراع ، قال تعالى :﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٢٩)

فتقديم القربان من قبل ابني آدم و تقبله من أحدهما – دون الآخر– كان باعثاً رئيسياً في الانتقال إلى ذروة الصراع الذي تبين فاعليته الإيحائية بالبنيات الحوارية بين الشخصيتين الرئيسيتين ، بعزم إحداهما على قتل الأخرى حسداً و حقداً .

و لّما كانت الإشراقات السردية تضيء فضاء النص القصصي و تكشف لغتها عن سمات المعنى الإجمالي للنص ، فإن المعنى الذي يستشرفه المتلقي من بناء الفعل (تُقُبِّلَ) للمجهول في قوله تعالى : (فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا ..) يوحي بأن أمر قبول القربان أو عدمه موكول إلى قوة غيبيّة لا يستطيع أحد إدراك كنهها ، وبالتالي فإنَّ الأخ ذو القربان المُتَقَبَّل لا ذنبَ عليه يوجب هدر دمه وقتله .

و فضلاً عن هذا فإن قوله تعالى : (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ) الذي جاء حكاية على لسان من تُقبّل منه ضمن حواره مع أخيه ، يمثل مغزى النص القصصي ، ويكشف عن قصدية النص في فتح باب الإيحاء المعبر عن معنى يثري بطبيعته التكوينية ، و الفكرية وعي و إدراك المتلقي ، إذ يوحي الكلام أن الله تعالى إنما يتقبل الطاعات من المؤمن الحق المتّقي لله ، و هذه الجملة على قِصَرِها أشارت إلى معانٍ اكتملت بها رؤى المتلقي في استكشاف سمات و أبعاد الشخصية المتحاورة – المُتَقَبّل منها – فهي

شخصية توحي بالنقاء و الطيبة و الخير، والخضوع لله تعالى ، و السلام ، رغم ما بدرَ من الشخصية الأخرى من عزم على القتل ، و إصرار وتأكيد يبعث على الاستنكار و يكشف عن فاعلية الحقد و الحسد اللذين تملكاها ، و تحمل الآية (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ) إشارة إلى أنَّ مسألة قبول القربان وعدم قبوله خاضعة لله سبحانه وتعالى ، وفضلاً عن ذلك فإنَّ الكلام يحمل موعظة ، وتعريضاً ، تمثلت الموعظة بأنَّ على الحاسد أن يرى سبب حرمانه من قبول القربان ، ويجتهد ليصبح كالذي تُقبل قربانه ، و التعريض كان بأنَّ المُتَقبل منه يعرض بالآخر بأنَّك لست بتقي ، لذلك لم يُتَقَبل منك ، ولو اتَّقيت لتَقَبَّل الله قربانك (٣٠) فجاء على لسان تلك الشخصية (لأقتلنّك) مما يوحي بقصدية معايير الشر و الخراب ، المروية بنزعات شيطانية تحلل و تبيح ما حرّم الله . بعد ذلك يمضي الأخ المسالم المؤمن الوديع في حديثه مع أخيه بحوارية تتجلى فيها نماذج الورع والتقوى ، والوداعة والسلام .

إذ يقـــول : ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٣١)

و بتطبيق المعايير اللغوية على الآية يتحصل المتلقي على دلالة إيحائية متصفة بالعمق ، و باعثة على الإسهام في توجيه الطرف الحواري الآخر إلى نمط من الاقتناع الفكري ضمن آليات الفهم المباشر، فقوله (لئن بسطتّ) بالصيغة الفعلية ، التي تحمل دلالة التجدد و الحدوث المهيمنة على العملية الإفهامية عائد إلى استشفافه هذا المعنى من الإصرار الذي اختزنته كلمة (لأقتلنك) بما تحمله من توكيد ، فهو عازمٌ على فعله . و يستمر الأخ في حواره الذي وَظّفَ فيه الإشارات اللغوية توظيفاً يتيح للمتلقي الإمساك بالمعنى المستبطن للألفاظ ، مستوعباً فيض دقائقه الموحية ، فقوله : (مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَ) يحمل دلالة الثبات و الديمومة على موقفه فلسان حاله يقول : إنَّ فعل القتل لا يدور في نفسي ،و لا خاطري ، وأنَّه ليس من طبعي ، معللاً ذلك بخوفه من الله رب العالمين ، و هذه الحوارية توحي بأنه مهما كان عزم أخيه على القتل متجدداً فإنه لن يبارحَ موقفه ابداً ، و المتمثل بعدم بسط اليد بالقتل بعد ذلك وضح الأخ لأخيه عاقبة هذه الفعلة الشنيعة ذلك أنه سيحمل إثمَ قتله

إضافة إلى آثامه ، و هنا يكون الإثم مضاعفاً ، و بالتالي فإن العذاب المترتب على ذلك عذاباً مضاعفاً – أيضا – إلا أن الأخ الحاسد لم يردعه شيء فطوّعت له نفسه قتل أخيه ، فقتله .

و مما تجدر الإشارة إليه أن جلّ الحوار كان على لسان الأخ الذي تُقبّل منه في حين أنّ المتلقي لا يجد إلا (لأقتلنّك) من الطرف الحواري الثاني ، و هذا يوحي بمدى فعالية الصراعات الداخلية في تشكيل قوالب الاستجابة الشعورية ، لنزعات الشر المتحولة إلى سلوكيات على ارض الواقع ، فكأنّ الكلمات اللازمة لتعبّر عن شعور الأخ الذي لم يُتقبّل منه ، و الصراعات النفسية التي جاشت في ثنايا صدره كلها اختُصِرت بهذه الكلمة ، التي أسهمت في أن تكوّن أبعاد الانفتاح المعنوي الإيحائي للقصة . على ألا نغفل الحوار الذاتي لهذه الشخصية الحسودة ، فبعد أن قتلَ أخاه ظلماً و عدواناً ، حار في أمره ، قال تعالى :﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾(٣٢)

فأدرك فيها أبعاد الضعف الذي يتملكه فجاء حواره الداخلي : (قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ)، يحملُ إيحاءً بالخيبة و الخسران و هضماً و استصغار لنفسه ، و صيرورة ذلك كله إلى ندمٍ لا ينفع معه شيء.

و نخلص مما سبق إلى أنّ القرآن الكريم قد قدّم القصة خالية من أسماء الأشخاص ، ليجعل المتلقي يقوم بتحليل العناصر النفسية و السلوكية ، و التعرف على الشخصيات ضمن معطيات النص ، و ملأ هذا الفراغ الدلالي تدريجياً ، مع الأخذ بعين الاعتبار و سائل الربط البديهي(٣٣) التي ستتسلل تلقائياً إلى وعي المتلقي فيستوحي من جدليات النص ، و تجليات المعنى أنّ القصة قد اتجهت نحو أخبار المتلقي : إنّ الله يُثيب المتقين ذوي الأنفس النقية ، و يعاقب المسيئين بأنّ يجعل النار مثواهم ، و بئس مثوى الظالمين ، وأنّ شخصيتي القصة تمثلان أنموذجاً بشرياً بكل المعطيات و المفاهيم .

ج – موسى وسحرة فرعون :

إنّ قصة إيمان سحرة فرعون برب موسى و هارون (عليهما السلام) ، قصة تقوم في بنيتها على التناسب ، لأنّ المعجزات الخارقة لنواميس الطبيعة التي أظهرها موسى (عليه السلام) أمام فرعون المتمثلة بالعصا المتحولة إلى ثعبانٍ مبين ، و اليد البيضاء التي ظهرت للناظرين ، قال تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾(٣٤)

هذه المعجزات كانت تقوم مقام السحر في نظر فرعون ، و ملئه ، و قومه ، لأنّ زمانهم زمانٌ شاع فيه السحر ، و ذاع ، و لا ريب بعد ذلك أن يرد فرعون على موسى دعواه ليثبت فساد تلك الدعوة ، فما كان منه إلاّ أن يرسل فيطلب كل سحّار عليم ، " و ها هم أولاء السحرة يجتمعون في بيت فرعون ، قبل أن يدخلوا المعركة ليتلقوا توجيهاته ، و ليستعرضوا بين يديه وجوههم و ما يحملون من معدات القتال "(٣٥) ، بعدها يلتقي السحرة بموسى و أخيه (عليهما السلام) ، و يبدؤون المعركة بالكلام ، مخيرين موسى أمر الإلقاء ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾(٣٦)

و ما يوحي به حديثهم مع موسى و تخييرهم إياه أمرَ الإلقاء ، أنّ لديهم إحساس ذاتي بالغلبة ، و النصر على موسى ، إذ يفيض حديثهم افتخاراً و عزّة . إلا أنّ موسى أجابهم (بل ألقوا) ، فألقوا ما في أيديهم من حبالٍ ، و عِصيٍّ يُخيّلُ للرائي من سحرهم أنّها تسعى . و هذا يوحي بأنّ موسى عليه السلام كان على يقين بالنصر و الغلبة ، فترك لهم زمام المبادرة و البدء ليزيد افتخارهم بأنفسهم .

قال تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾(٣٧) و في خضم تلك الجلبة يُلقي موسى (عليه السلام) ، كلمات على الملأ تُبيّن ثقته بالله – تعالى – و يُثبت لهم أنّه لم يتزعزع إيمانه ، و لم تهزّه أفعالهم ، و أنّه على الحق و أنّ ما يدعون إليه فاسدٌ و باطل ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾(٣٨) بعدها يُلقي موسى ما في يمينه ، فإذا هي ثعبانٌ مبين ، قال تعالى :﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾(٣٩) وكانت النتيجة أن مُني السحرة بهزيمة غير متوقعة منهم في ضوء قوله تعالى : ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ

وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾[٤٠] عندئذٍ خضع السحرة لسلطان العقل ، و أدركوا الحقيقة الإلهية ، و المنهج الإلهي في سَوق الحقائق و الدلائل على الوجود الرباني ، فخرّوا ساجدين ، معترفين موقنين بالله تعالى ، رب موسى و هارون (عليهما السلام) ، و استقر معنى العبودية لله في أنفسهم ، لهذا نجدهم لم يبالوا بتهديدات فرعون بالعذاب ، و الصلب ، كردةِ فعلٍ طبيعية من قبلة لعملهم ، لأنهم وجدوا في أنفسهم بعد الإيمان طمأنينة و رضى ، فتوجهوا إلى الله بجوارحهم كلها ، قال تعالى : ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى * قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[٤١] و الحقيقة التي انجلت عن إيمان السحرة تمثلت في أمرين رئيسيين :

تمثَّل الأول بأنَّ إيمان السحرة المطلق بربّ موسى و هارون (عليهما السلام) يوحي بصحة دعوى موسى أمام الملأ ، لأنّ السحرة هم أكثر الناس علماً بالسحر ، و لدى إعلانهم أن ما جاء به موسى ليس بسحرٍ ، إذن فإنّ العصا المتحولة إنما هي معجزة خارقة . و لهذا عَمَدَ فرعون إلى قوله : (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) لكي يعمل على إرجاع قومه عن أي محاولة للفهم الدقيق ، و التأمل العميق في موقف السحرة و إيمانهم ، و الوصول إلى عظمة الخالق و إعجازه .

أمَّا الثاني فهو أنَّ شخصية السحرة – في هذا الجزء من قصة موسى عليه السلام – مثَّلت متلقياً ضمنياً ، فأصل الحوار ، و عملية الإقناع كانت موجهة إلى فرعون ، ليقرّ بالوجود الإلهي ، إلا أنَّهم – أعني السحرة – استقبلوا الإشارات الإيحائية التي بثها موسى عليه السلام ـ دون أن يتحاور معهم ـ، بعقل مدرك ، و تأمل صادق ، و فهموا قصدية المعجزة ، و أسهموا في فاعلية الحدث ، و التأثير على غيرهم حتى دون أن يتحاورا معهم .

و صفوة القول فيما سبق :

١- إنّ عميلة الإقناع هي جوهر الحوار في القصص القرآني ، و تتجسد هذه العملية باستعمال اللغة ، و الأساليب الحوارية المختلفة بقصد التأثير في المتلقي ، و يتطلب ذلك أن تكون الأساليب الكلامية مشحونة بأفكار موحية ينتج عنها سلوكيات ، و يتبعها مواقف تبيّن مدى فاعلية الحوار .

٢- إنّ الخطاب القرآني – بوسائله التبليغيَّة التواصلية كالأسلوب القصصي ، الترغيب والترهيب ، الوعد والوعيد ، النصح والإرشاد .... وغيرها . إنَّما يمثّل منحى تبليغي تواصلي يستميل العقول و يؤثر في النفوس ، فهو لا يخصّ متلقٍ بعينه ، و إنَّما هو موجه إلى البشرية أجمع في مختلف العصور و الأزمنة و الأمكنة . إذ تتبدى وسائله للحواس أولاً ، و من ثمّ تُفصح عن إيحاءٍ لا نهائي ، لتشكل في نهاية المطاف معنى ثري يتبدّى للعقل المدرك بشكل عميق .

٣- إنّ الشخصيات في القصة القرآنية التي تمثل أطراف الحوار هي شخصيات واقعيَّة ، و بالتالي فإن الاستجابة لما تطرحه الشخصيات الإيجابية في القصص عن طريق الحوار يكون خاضع لهيمنة العقل والمنطق و النظر السليم ، و بهذا تكون القصة القرآنية قد مثلت بإيحاءاتها الحوارية و أبعاد شخصياتها وسيلة في تحفيز المتلقين على الخير و الابتعاد عن الشر ، بما يجعلها مادة خصبة في إيصال المعنى إلى المتلقي و إنارة بصرهِ و بصيرته .

٤- مثلت الشخصيات في القصة القرآنية رموزاً موحية تتيح للمتلقي استحضار القيم الإنسانية الخيرة أو الشريرة ، فيوسف ﷺ اسمه يوحي بالطهر و العفاف ، و إبراهيم ﷺ بالحلم و الإنابة ،وأيوب ﷺ بالصبر على الشدائد، وفرعون يوحي بالطغيان و التجبّر و الجبروت ... و هكذا ..

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة إيحائية عناصر الحوار في القصة القرآنية ، ويمكن تحديد أهم النتائج التي توصل إليها البحث بـ :

- تشير عناصر الحوار في القصة القرآنية بما اشتملت عليه من دلالات إيحائية في اللغة الحوارية والشخصيات المتحاورة إلى عمق العقيدة والإيمان اللذين تأصلا في

شخصيات القصة، فضلاً عن النظرة التأملية التي تأصلت في الشخصيات الإيجابية في القصة القرآنية وتميزها في إدارة دفة الحوار.

- مثّل الإقناع جوهر الحوار القصصي الذي تجسّد بشحن الأساليب اللغوية الحوارية بأفكار موحية ينتج عنها سلوكيات ويتبعها مواقف تبيّن مدى فاعلية الحوار.
- شخصيات القصة القرآنية كانت شخصيات واقعية ، وبالتالي فإنّ هذه الشخصيات ستكون وسيلة في إيصال المعاني والدلالات للمتلقين عن طريق حوارها وسماتها العامة ، وتعد عامل في تحفيز إدراكهم بشكل عميق،ويضاف إلى ذلك أنّ شخصيات القصة القرآنية مثلت رموزاً إيحائية تتيح للمتلقي استحضار القيم الإنسانية الخيرة أو الشريرة ،فإبراهيم عليه السلام يوحي اسمه بالحلم و الإنابة ،وأيوب عليه السلام بالصبر على الإبتلاء والشدائد ، وفرعون يوحي بالطغيان و التجبّر و الجبروت ... و هكذا ..

الملخص

يتناول هذا البحث الحوار في القصة القرآنية وإيحائيته لأنه يمثل مكوناً مهماً في القصة ، ويتيح للشخصية القصصية أن تعبر عن أفكارها وعرض ما تريد عرضه من مضامين ضمن إطار الحدث .

وتضمّن البحث توطئة ومحورين ، تناول في التوطئة أهمية الحوار ، والأبعاد الدلالية للشخصية في القصة القرآنية ، وكيفية تعاضد هذين المكونين في الكشف عن إيحائية النص القصصي .

وتناول المحور الأول أهمية الشخصيات المتحاورة ، وأنواع الحوار .

أمّا المحور الثاني فقد تناول الكشف عن سمات وإيحائية بعض شخصيات القصة القرآنية في ظل التصوير الحواري .

وجاءت الخاتمة حاملة لأهم النتائج التي توصل إليها البحث .

ABSTRACT

This research deals with the dialogue in the Koranic story Aihaúath because it represents an important component in the story, and allows for a personal narrative to express their ideas and show

what you want to display the contents within the framework of the event.

The search included a foreword, two axes, eating in the preface the importance of dialogue, and semantic-dimensional figure in the Koranic story, and how the synergy of these two components in how to detect suggestive narrative text.

The first axis, and the importance of eating interlocutors figures, and the types of dialogue.

The second axis was eating and detection features suggestive of some Koranic story characters in fairy light imaging.

Conclusion carrier came to the most important findings of the research.

هوامش البحث

١- الصافات ١٣٩ - ١٤٨

٢ظ: عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في منطوقه و مفهومه : ١٦٤

٣- المرجع نفسه : ١٢٩

٤- يادكار لطيف الشهرزوري ، جماليات التلقي في السرد القرآني : ٦٢

٥ - يوسف ٨-٩

٦- يوسف ١١

٧- يوسف ١٦-١٧

٨ - الأعراف ٦٩

٩- الحاقة ٦ – ٧

١٠- البقرة٣٠

١١- الحجر٥٢

١٢- النمل ٢٢ ـ ٢٨

١٣- ظ: إسماعيل إبراهيم السامرائي ، الحوار في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) كلية الشريعة ،جامعة بغداد : ٢٧ و ما بعدها

١٤- التهامي نقرة ، سيكولوجية القصة في القرآن : ٤١٥

١٥ـ ظ: المرجع نفسه : ٤١٥-٤١٩

١٦ـ ظ: محمد حسين فضل الله ، الحوار القرآن الكريم : ٢٢٩

١٧ـ مريم ٤١ - ٤٨

١٨ـ الكشاف : ٤ : ٢٣

١٩ـ مريم ٤٧

٢٠ـ هو طلب معرفة شيء معين مجهول .

٢١ـ الأنبياء ٥١ -٥٢

٢٢ـ أحمد احمد بدوي ، من بلاغة القرآن : ١٢٦

٢٣ـ محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن الكريم ، ٢٦٣

٢٤ـ ظ:المرجع نفسه : ٢٦٣

٢٥ـالأنعام ٧٥ - ٧٩

٢٦ـ يادكار لطيف الشهروزري ، جماليات التلقي في السرد القرآني : ٩٩

٢٧ـ المائدة : ٢٧ – ٣١

٢٨ـعبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في منطوقه و مفهومه : ١١٩

٢٩ـ المائدة ٢٧

٣٠ـ ظ : الطبري ، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) : ٨ / ٣٢٧ ،+ ظ : الآلوسي ، روح المعاني : ٦ / ١١٢ .+ ظ : محمد حسين الطباطبائي ، الميزان : ٥ / ٢٥٧

٣١ـ المائدة ٢٨

٣٢ ـ المائدة ٣١

٣٣ـ من وسائل الربط البديهي الأداة (إنَّما) التي تفيد التوكيد بالقصر وبقوله: (إنَّما يتقبل الله من المتقين) ، يكون قد أكَّد أمر قبول الأعمال وقصره على الله سبحانه وتعالى دون غيره فضلاً عن كون المُتقبل منهم لا يكونون إلاَّ عارفين الله ومتقينه، .

٣٤ـالشعراء ٣٢ - ٣٤

٣٥ـ عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في منطوقه و مفهومه : ٢٦٣

٣٦ـ طه ٦٥

٣٧ـطه ٦٦ ، الشعراء ٤٤

٣٨- يونس ٨١

٣٩- الشعراء ٣٢ ، الأعراف ١٠٧

٤٠- الأعراف ١١٨ - ١١٩

٤١- طه ٧١-٧٣

قائمة المصادر والمراجع

خير ما نبتدئ به

١- القرآن الكريم .

٢- الآلوسي : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي(١٢٧٠هـ)
روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، د.ت

٣- أحمد أحمد بدوي (الدكتور) من بلاغة القرآن ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ٢٠٠٥م

٤- إسماعيل إبراهيم السامرائي ، الحوار في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥م.

٥- التهامي نقرة سيكولوجية القصة في القرآن ، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧١م.

٦- الزمخشري:أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد(ت٥٣٨هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التنزيل ،تحقيق وتعليق : الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض و د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي ، مكتبة العبيكان ، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٧- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ،(ت٣١٠هـ)تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية ، دار هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .

٨- عبد الكريم الخطيب (الدكتور) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ط٢ ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٩ـ محمد حسين الطباطبائي الميزان في تفسير القرآن ، تحقيق : أياد باقر سلمان ، قدم له :كمال الحيدري ، مؤسسة التراث العربي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٠ـ محمد حسين فضل الله الحوار في القرآن الكريم (قواعده ـ أساليبه ـ معطياته) ، دار الملاك ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١١ـ يادكار لطيف الشهرزوري جماليات التلقي في السرد القرآني ، دار الزمان للطباعة والنشر ، دمشق ـ سوريا ، ط١ ، ٢٠١٠م.